من تراب الطريق ! (٦٩٤) نقطة نظام (*)

لست محتارًا كما احتار بعض أبناء بلدى المخلصين ، الذين لا شك عندى فى إخلاصهم وفى وطنيتهم .. لست محتارًا ، ولم تطرق الحيرة بابى لأنى أعرف أن فلسطين ليست « حماس » ، وأن أبناء الشعب الفلسطينى ليسوا « حماس » .. ولذلك فإننى أفصل بين كبائر « حماس » كفصيل سياسى عليه ـ ولا تزال ـ علامات استفهام ، وبين فلسطين وشعب فلسطين .. ولذلك فلست أخفى تعاطفى وولائى الكامل للقضية الفلسطينية كجزء من القضية العربية ومن الأمن القومى المصرى .. وأجد أن رفضى للعدوان الإسرائيلى على غزة ، ليس مجرد رفض « عاطفى » أغسل يدى بعده من أمر فلسطين والفلسطينيين ، وإنما هو رفض مقرون بوجوب الدفاع عن فلسطين وعن الفلسطينيين العزل الذين تحصد إسرائيل أرواحهم فى غزة ، فى بربرية لا تبررها كبائر « حماس » ولا كونها المتسببة ـ وعيًا أو استعباطًا ـ فى المشهد المأساوى الراهن !

علمت مما علمنى القرآن المجيد ، أن المسئولية شخصية ، لا يتحمل أحد بوزر آخر ، فلا تزر وازرة وزر أخرى ، فيقول الحكم العدل جل شأنه: « وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا » (سورة الإسراء الآية ١٣) ، ويقول عز من قائل : « وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

(*) المال فى ١٤ /٧/ ٢٠١٤

أُخْرَى » (سورة الأنعام الآية ١٦٤ ، سورة فاطر الآية ١٨ ، سورة الإسراء الآية ١٥ ، سورة النجم الآية ٣٨) .. ويقول سبحانه وتعالى ـ أيضا : « فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» (سورة الزلزلة الآيتان ٧ ، ٨) .

ولو كانت الغارات والقنابل والقذائف الإسرائيلية ، تختار مرتكبى الكبائر من الحماسيين الذين أساءوا لمصر ولجيش مصر ، لهان الخطب ، فقد يُقَال من أعمالهم سُلِّط عليهم ، وأن الحُفَر التى حفروها قد وقعوا فيها ، وعليهم أن يشربوا سُمّ الكأس الذى أعدوه .. بيد أن القنابل والقذائف والنيران لا تميز ، وإنما تتجه بحممها إلى جميع الفلسطينيين ، وإلى الأطفال والنساء والشيوخ ، وإلى رجال لا شأن لهم بحماس ، ولا يقرون ما فعلته وتفعله حماس ، وربما لديهم من الاعتراض على حماس ما لدينا من الاعتراض ، ومن الرفض لها ما لدينا من الرفض ، وليس فى يدهم ، ولا فى جعبتهم ، ولا فى مقدورهم أن يوقفوا عبث وألاعيب وكبائر حماس ، ومن الجور أن يتحملوا أوزار حماس ، ومن العماء أيضًا الخلط بين حماس وبين فلسطين .. فلسطين كانت وستبقى ـ دون غض النظر عن كبائر حماس ـ قطعة عربية ، من الأرض العربية ، واقعة تحت نير احتلال إسرائيلى استيطانى غاشم ، ومن الخلط والتخليط أن تضيع أو تغيب هذه الحقيقة ، وأن تنبهم رؤيتها ، لكبائر حماس .. فحماس ليست فلسطين ، ولن تكون ، والخلط بين أصول القضايا القومية وبين كبائر فصيل سياسى ـ خلط غير مغفور ، بل هو «كبيرة» لا تليق بمصر والمصريين .

أحسنت القوات المصرية المسلحة بإرسالها ٥٠٠ طن من المواد الغذائية والمساعدات الطبية لدعم أهالى غزة ، فضربت المثل بأن « الغُصَّة » التى يعانيها أبناؤها من « أفاعيل » و « كبائر » حماس فى حق مصر وجيش مصر - لم تمنع رؤيتها « القومية » للقضية ، ولم تجدها مبررًا لكف يدها عن مساعدة هذا الشعب العربى الأعزل فى محنته دون تحميله بأوزار فصيل هو فى الواقع أحد أسباب المعاناة التى تكأكأت عليه من كل جانب !

ظنى أنه بدلاً من أن نُعنى بالرد على من يدعوننا لتقديم أكثر ، فنقدم بذلك يد العون إلى إسرائيل فى عدوانها الغاشم غير المميز ، أن نقول للداعين ها أنتم ، لم يمنعكم أحد ، فتفضلوا وتقدموا بما شئتم تقديمه من العون ، وقاتلوا إن شئتم ، وحدود إسرائيل ممتدة بطول الأردن وسوريا ولبنان ، والأموال التى تغترف منها قطر لضرب أمان واستقرار ومصالح مصر ، أموال هائلة ، تملأ أدخنة سوء استغلالها ربوع الوطن العربى كله ، وطالت فيما افتضح أخيرًا جيرانها فى دون الخليج ، فلماذا لا تهتم قطر وهى التى أنفقت المليارات لشراء ذمم لإقامة مونديال لا تحتمله أراضيها ، لماذا لا تهتم بدلاً من ذلك ، وبدلاً من المؤامرات التى تحيكها لضرب مصر وبعض العرب - بإنفاق اهتمامها وأموالها الطائلة فى تقديم « المساعدة » الحقيقية للشعب الفلسطينى - لا لحماس - لمقاومة ما يجثم عليه، وفى « صدّ » العدوان الإسرائيلى الذى تدعو غيرها لصدّه ، بينما هى منصرفة وبقناتها الفضائية المريضة للضرب فيه والتهجم المنكر عليه !

سأكون أول المصفقين لقطر لو أقدمت على ما تعاير غيرها بعدم القيام به، وسأكون أول المصفقين « لحماس » « وظهرائها » إذا تصدوا بجدية ، لا بالكلام ، لعدوان إسرائيل التى تنسق قطر وتطبع معها على الواسع من وراء الكواليس وتقدم لها « حماس » ـ عن وعيٍ أو استعباط ـ التعلات والذرائع لتقتيل أبناء وبنات وأطفال ونساء وشيوخ الشعب الفلسطينى !

إن هؤلاء ، وتصرفاتهم الضريرة ، من الكبائر الضارة فى عالمنا العربى المرزوء بهم وبأمثالهم ، بيد أن كبائرهم لا تمنعنى من رفض وشجب عدوان إسرائيل على قطاع غزة ، ولا تبرر حجب « تقديم المستطاع » لمساعدة الشعب الفلسطينى الأعزل فى محنته التى أطبقت عليه من حماس وإسرائيل، ولا تدعونى ممارسات حماس وقطر للخلط بين سوء أفاعيل حماس وظهرائهم ، وبين فلسطين الوطن وفلسطين الشعب العربى .. مصر أكبر بكثير جدًّا من كبائر وأفاعيل هؤلاء الصغار !

* * *